أهم السمات والقواسم المشتركة للجماعات السرية:-

١. أنها حركات منظمة لها بناء هرمي متماسك بهذا القدر أو ذاك، ولها رموزها وتقاليدها وطقوسها ولغتها، وطرق تساعد على تماسك الجماعة والتعبئة بنشأتها وأصولها ومزاياها.

٢. لها وظيفة قد تكون وطنية أو طبقية أو أخلاقية... وقد تكون عنصرية وإرهابية أيضاً بناء على أهدافها. فما يقرر وظيفة الجماعة هو مضمون أهدافها، دون إهمال تاكتيكاتها، أي الوسائل والدروب التي تنتهجها.

٣. لها معاييرها واشتراطاتها للعضوية كما واجبات والتزامات على العضو.

٤. لها تضحياتها، فالمهمات تستوجب التضحية بالوقت والمال، وأحياناً إهمال الأمور الشخصية، وأحياناً الاعتقال بل والموت ثمناً للانتماء للجماعة.

ففي التاريخ القديم كانت ثورة سبارتاكوس نموذجاً للتضحية الجماعية، ومسيرة المسيح رمزاً ودلالة وهو صاحب القول (إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها، لكن موتها يأتي بثمر كثير)، والدعوة الإسلامية في البدايات وما لاقته من تنكيل... وكلمة رسول الإسلام (المسلمون كالجسد الواحد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) فيها من البلاغة والمعنى الكثير.والحركات اليسارية في الكثير من البلدان، تتمتع بتضامن جمعي وتساند حمائي.

٥. عملية جماعية تراكمية، تبدأ بدايات بسيطة، مجرد قبضة في حال جبهة التحرير الجزائرية التي هزمت المستعمر الفرنسي، وقبضة في حال جيش الشعب الفيتنامي الذي هزم المستعمر الفرنسي ومن بعده المستعمر الأمريكي... وأما تشييدها فيمر بحلقات متتابعة من العمل الدؤوب، فيشتد ساعدها بتدرج وتتبلور ملامحها ومضامينها بتدرج أيضاً.

وسوف ينطوي الاستعراض المقتضب لطائفة حركات ثورية سرية على الكثير من المنظورات والمقولات المعاصرة في حقول الفكر السياسي والتنظيم، وهي مستقاة وتتكئ على منظورات ومقولات من تجارب سبقتها، فالتاريخ يترابط ويتناسل ارتقائياً، وبكلمات إدوارد سعيد (إن ثقافات الشعوب متمازجة كثيراً ومتشابهة كثيراً)، ولكننا نقتبسها لأنها حضرت بهذا القدر أو ذاك في التفكير الإرشادي للجبهة سيما في مرحلة التركيم.